ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal for Human Sciences

Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

(Ma) in Abdul Rahman Al-Sharqawi's play "Al-Hussein Tha'iran": A Stylistic Study

*** Corresponding Author**

Abeer Mufakir Muhammad Amin Al-Sheikh Ali

Imam Al-Kadhim College of Islamic Sciences University

Email: Tr1he5ua1@gmail.com

Keywords

function, ma, types,parsing, meaning

Article history:
Received: 2025-04-03
Accepted: 2025-06-16
Availablonline: 2025-08-01

ABSTRACT

This research offers an in-depth study of the multifaceted meanings and functions of the word "ma" in Abdul Rahman Al-Sharqawi's play, *Al-Hussein Tha'iran* (Al-Hussein Rebelled). The study systematically analyzes the frequent occurrences of "ma," detailing its grammatical and semantic dimensions, its specific functions, and the diverse scholarly perspectives on its parsing.

The primary objective is to identify and describe the usage patterns of "ma," thereby highlighting a significant characteristic of the Arabic language: its inherent capacity for rich and precise expression. This linguistic flexibility empowers writers to skillfully articulate complex thoughts, emotions, and imaginative concepts.

The research is structured into three main axes:

Research Axes

The Play "Thar Allah" (God Rebelled): Its Essence and Embodiment: This section provides context for the study by exploring the nature and significance of the play itself.

"Ma" in the Understanding of Grammarians: This axis offers a theoretical framework by examining how classical and contemporary grammarians have interpreted the word "ma."

The Forms and Functions of "Ma" in the Play "Al-Hussein Tha'iran": This core analytical section investigates the diverse manifestations and roles of "ma" as it appears throughout Al-Sharqawi's text.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution License (CC BY 4.0)https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
DOI: https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol21.Iss3.975

(مـا) فـي مسرحيّة الحسين ثائراً لـعبد الرّحمن الشّرقاوي :

دراسة أسلوبيّة

م .د عـبير مفكـر محمد أمين الشّيخ علي
الـكـليّة التّـربويّة الـمـفـتوحة
مركـز نينوى الـدّراسيّ

المُستخلص

يتناول هذا البحث دراسة معمقة لـ لفظة ـ ما ـ (ضمن سياقها النّصي في مسرحية عبد الرحمن الشّرقاوي ـ الحسين ثائرًا ـ) ، يهدف البحث إلى استجلاء الدلالات المتعددة لهذه اللفظة وتحليلها من منظورين متكاملين: النحوي والدلالي. كما يسعى إلى تبيان وظائفها المتنوعة، مع عرض مستفيض لآراء النحاة في إعرابها، وذلك بهدف استخلاص أنماطها الوظيفية ووصفها بدقة.

تكمن أهمية هذا البحث في كشفه عن إحدى أبرز ميزات اللغة العربية التي تمنحها لألفاظها؛ إذ توفر هذه اللفظة مساحة تعبيرية رحبة أسهمت في تمكين الكاتب والمبدع من صياغة ما يعتمل في أذهانهم من أفكار ،وما يجيش في صدورهم من مشاعر وتخيلات.

ينقسم البحث هيكليًا إلى ثلاثة محاور رئيسية، يتبعها خلاصة شاملة وقائمة بالمصادر والمراجع:

المحاور البحثية:

- المحور الأول: مسرحية "الحسين ثائرًا"؛ الماهية والتجسيد. يتناول هذا المحور تعريفًا بالمسرحية من حيث طبيعتها الفنية وتجسيدها الدرامي لأحداث ثورة الحسين.
- المحور الثاني: "ما" في فهم النحاة. يركز هذا المحور على استعراض التصورات النحوية المختلفة لـ"ما"، مع تحليل آراء العلماء وتصنيفاتهم لأنواعها ووظائفها الإعرابية.
- المحور الثالث: أشكال "ما" ووظائفها في مسرحية "الحسين ثائرًا". يقدم هذا المحور تحليلًا تطبيقيًا لأنماط ورود "ما" في النّص المسرحي، ويفصل في وظائفها الدلالية والنحوية المحددة ضمن سياق العبارات والحوارات.

الكلمات المفتاحية : وظيفة، ما، أنواع، إعراب، دلالة

المحور الأول :

مسرحية ثأر الله: الماهية والتجسيد

صدرت مسرحية ثأر الله للكاتب عبد الرحمن الشرقاوي في عام 1969م، وتتكون من جزأين متكاملين هما: (الحسين ثائرًا) و (الحسين شهيدًا) ، حيث تبرز المسرحية شخصية الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بوصفها شخصية تاريخية استثنائية، استُلهمت لتكون صوتًا و ضميرًا يتحدث عبر الزمن، منذ عام الستين للهجرة، متحديةً بذلك صمت وغياب الضمير الإسلامي الجمعي في مواجهة الحق والعدل عبر مختلف الأزمنة والأمكنة.

ينقسم العمل الدرامي إلى جزأين مستقلين:

- الجزء الأول (الحسين ثائرًا): يضم ثلاثة عشر مشهدًا دراميًا يركّز على الأحداث التي سبقت واقعة الطف، مُبرزًا التحولات النفسية والاجتماعية والسياسية التي مهدت للحراك الثوري.

- الجزء الثاني (الحسين شهيدًا): يضم ستة مشاهد تحكي تفاصيل يوم عاشوراء وما تلاه من أحداث، مع التركيز على التضحية والشهادة كقيم مركزية.

لقد استُقبلت المسرحية كنتاج فني وثقافي يعكس رد فعل حادًا تجاه الهزيمة العربية في حرب 1967، وما تبعها من شعور عميق بالخذلان وخيبة الأمل جراء انكشاف خيانات القادة والنخب السياسية، إلى جانب تعاملها المتعالي والأناني مع الشعوب. في هذا الإطار، و قد وصل الشرقاوي باختياره الإمام الحسين انموذجا عاليا لرفض الظلم وللثورة على المهانة للثورة على الظلم والهوان، من طريق استحضار رجال و شخصيات «بيضاء» عُرفت بنضالها المستمر وجهودها الإصلاحية في مواجهة الطغيان (رحوار، 1975)

لغويًا وأسلوبياً، جاءت المسرحية بلغة فصيحة واضحة وسلسة، تتسم بالتماسك والرصانة، مع الابتعاد عن التعقيد والغرابة اللغوية، ما يجعلها متيسرة على المتلقي المعاصر، دون أن تفقد رصانة البلاغة وقوة التعبير، إذ تتدفق الكلمات محمّلة بثقل الصراع النفسي والاجتماعي الذي كان يعانيه المؤلف، وهو ما أتاح له أن يبدع في صياغة نص مسرحي متفرد يحتفظ ببصمة فنية واضحة.

وفي هذا الإطار، يظهر الشرقاوي كفنان حقيقي يتقن المزج بين الواقع والتاريخ، وبين اللغة والتعبير، مبدعًا نصًا مسرحيًا يمثل رمزية ثورية حية تعبّر عن أمل التغيير، وتحاكي وجدان الجماعة العربية في لحظة من أحرج لحظات تاريخها.

المحور الثاني :

(ما) في فهم النّحاة :

(ما) عند النحاة من الالفاظ المشتركة فهي حرف و اسم فضلا عن ذلك ،و على هذا فقد تنوعت؛ أشكالها إذ جاءت بمعانٍ مختلفة؛ فالحرفية تقسم على ثلاثة أنواع الأول : النافية العاملة و لها تسمية أخرى هي (ما) الحجازية وهي حرف عامل ترفع الاسم وتنصب الخبر عند أهل الحجاز وأعملوها بشروط ستة منها تأخر خبرها عن اسمها وبقاء النّفي وألّا يأتي بعدها إنْ الزائدة المؤكدة للنفي وأنْ لا يتقدم على اسمها معمول خبرها وهو غير ظرف ولا جار ومجرور و لا تكرر و لا ينتقض نفيها بـ إلّا . و الثّانية النافية غير العاملة فهي نفسها العاملة إذا فقدت الشروط التي وضعها النّحاة لها . و الثّالثة (ما) المصدرية الظرفية ووضعوا لها ضابطا هو أنْ تقدر بمصدر نائب عن ظرف الزمان مثل : ما دامت السّموات . أيْ : دوامها . والرابعة (ما) غير الظرفية هي المقدرة بمصدر ولا يحسن تقدير الوقت قبلها مثل : يعجبني ما صنعت . أي : صنعك .

و النوع الرابع من (ما) هي الزّائدة و قسمها النّحاة إلى أربعة أقسام :

الاول : أنْ تكون كافّة لما تدخل عليه عن العمل و حصروا ذلك في الأفعال (قلّ وكثر وطال) و أنْ تكون كافة عن عمل الجر وتتصل بالحرف (ربّ) و نحوه و بالظرف (بعد) والثاني : أنْ تكون زائدة لمجرد التوكيد و هذه لها عند النّحاة مواضع فهي تقع بعد حرف الجر مثل : فبما رحمةٍ و عمّا قليلٍ و ممّا خطيئاتِهم أو بعد الاسم مثل :

أيّما الاجلين قضيت وَرُبَّمَا والثالث :الزائدة عند النّحاة تلك التي تزاد عوضاً عن فعل مثل : أمّا أنت منطلقاً انطلقت .فعوض عن كان بـ (ما) و الرابع : أنْ تزاد لتكون مبهة .مثل : لأمر ما جدع قصير أنفه و : هل أعطيت إلاّ عطية ما . وهذه عندهم أقسام حسب معناها مثلا منها ما يراد بها التعظيم أو التّحقير أو التّنويع مثل : ضربته ضرباً ما . أي : نوعاً من الضرب .

وأمّا (ما) الاسمية فيقسمها النّحاة على سبعة أقسام : موصولة وشرطيّة واستفهاميّة ونكرة موصوفة ونكرة غير موصوفة و معرفة تامة و لكل نوع منها شروط و إعراب مختلف لأنّ الوظيفة الدلاليّة ستختلف و قد حاول النّحاة إيجاد ضابط يمكن طالب العلم من تمييزها فالاستفهامية تكون بمعنى (أي شيء) ويكون في سياقها سؤال و الموصولة تكون بمعنى (الذي) وتحتاج إلى جملة صلة الموصول بعدها توصل بها لتوضح معناها و الشّرطيّة تكون بمعنى (إذا) وفي سياقها فعلين مجزومين فعل الشرط و جواب الشرط و المعرفة تكون بمعنى (الشيء) ودائما متصلة بلفظة (نِعِمَّ) و النكرة تكون بمعنى (شيء) أي اسم نكرة تامة لا تحتاج لوصف بعدها (المرادي، 1992؛ الجياني، 2009)

و قد عالج النّحاة (ما) علاجهم لكثير مِن الألفاظ التي غنيت بها الجملة العربية و سببت جدلا واسعا للدارسين للغة العربية بل عدها بعضهم عائقا لا يستهان به أمام تعلم اللغة العربية فعند وقوفهم على (ما) في قوله تعالى: ((هذا ما لَدَيَّ عَتِيْد)) (سورة ق – 23) كان لا بدّ من فهم سياق الكلام لتسمية أو اعراب (ما) فهي عند البعض منهم اسم نكرة موصوفة (المبرّد، 1994؛ الفراء، 1983؛ النحوي، د.ت.؛ عمر، 1996.(

على حين يراها نحاة آخرون اسما موصولا ولا يتعلق الأمر باللفظ بقدر ما يتعلق بالسياق فما هي ذاتها بلفظها لكنّ موقعها من السياق هو الذي غيّر إعرابها فالذي يراها نكرة هي عنده اسم و التقدير : هذا شيءٌ لدي على حين قدرها مَن يراها اسما موصولا على : هذا الذي لدي (العكبري، د.ت.؛ الاندلسي، 1328هـ) .

و في قوله تعالى: ((أَوَ لَمْ نُعَمّرْكُم مَا يَتَذَكَّرُ فيهِ مَنْ تَذَكَّرْ)) (سورة فاطر– 37). (ما) مصدرية ظرفية عند بعض النّحاة و الذي دعاهم لهذا الاعراب فهم السّياق الذي وردت فيه فهم قد فهموا المعنى على تقدير : نعمركم المدّة التي أو وقتا يتذكر فيه مَن تذكر (الاندلسي، 1328هـ) .

على حين فهمها نحاة آخرون على أنّها نكرة موصوفة لأنّ فهمهم لسياق النص الكريم اختلف و سيقدرون الكلام على تفسير : نعمركم شيئا يتذكر فيه الذي يحب التذكر (العكبري، د.ت.).

و يقف نحاة آخرون من هذا الخلاف موقفا مختلفا فيحاولون الترجيح بين الرأيين فلكي يتحقق لهم الاختيار يلجؤون إلى معيار استقرائي فكون (ما) في الآية الكريمة مصدرية ظرفيه لا يروق لهم ، لأنّ العلة التي يستندون إليها أنّ المصدرية الظرفية وجودها يقل كون صلتها مضارعا مثبتا وعود الضمير على (ما) من قوله : (يتذكر فيه) يمنع مصدريتها (الفراء، 1983؛ عمر، 1996؛ الاندلسي، 1328هـ) .

ووفقا للمذهب و الطريقة نفسها معتمدين على السّياق يميز النّحاة بين (ما) الشّرطية و(ما) الاستفهامية فالشّرطيّة يأتي بناء الجملة في سياقها مكونا فعلين هما و على مستوى الدلالة و التداول يمثلان سببا و نتيجته التي تترتب عليه و يطلقون عليهما شرطاً وجزاءً (عمر، 1996) مثل قوله تعالى : ((مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا)) (سورة البقرة– 106) فضلا عن هذا فجملة الشّرط تكون جملة فعليّة والأصل الذي تبنى منه جملة جواب

الشّرط لكنْ في الجواب قد يكسر هذا الأصل لتكون جملة الجواب اسميّة (ابن عقيل، 1999) نحو قوله تعالى: ((مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا)) (سورة فاطر–4)

و السّياق أيضا سيكون خير معين لتمييز (ما) الموصولة فمتى صلح في موضعها لفظة (الذي) فهي إذن اسم موصول(المرادي، 1992) نحو قوله تعالى: ((وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)) (سورة النمل–49)

يقول أحد النّحاة مفصلا الشّرط يحتاج إلى العلّتين جميعاً فعله وجوابه (وهو متّصلٌ بهما لفظاً؛ لأنّه مسلطٌ عليهما، وجازمٌ لهما وهو رابطة ما بينهما مِن حيثُ المعنى، إذ لولاه كانت بينهما علاقة الشرطيّة أو علاقة الملزم أو علاقة المعلول بالعلة ولكانت الجملة من فعله وجوابه مُستقلّة قائمةً بذاتها؛ لأنَّ الشّرط يدخل على جملتين فيتعلَّق حصول الثانية على حصول الأولى) (الحوي، 1987) ، على حين يوضع سيبويه ذلك الفرق بأنّ (ما) الموصولة يجوز تأخُّرها عن الفعل بخلاف الشّرطيَّة فإنَّ تأخيرها عن الفعل قبيحٌ (تقول:" آتي مَن يأتيني" و" أقولُ مَا تقول " و"أعطني أيّهمَا تشاء" هذا وجه الكلام وأحسنه، وذلك أنَّه قبيح أنْ تؤخَّر حرف الجزاء إذا جزُم ما بعده، فلّما قبُح ذلك حملوه على (الذي)) (سيبويه، 1982).

و لا نغفل خلاف النحاة في (ما) عندما ترد في سياق التّعجب إذ يفسرها بعضهم على معنى (الذي) فهي عنده موصولة ،ففي المثال : (ما أحسنَ زيداً) هي اسم موصول بمعنى الذي يعرب مبتدأ ، و(أحسن زيدا) صلة لـ (ما) ، أمّا الخبر فمحذوف (ابن السرّاج، 1988؛ النحوي، د.ت.؛) (ولم ينسب هذا الرأي إلى الأخفش سوى ابن السراج ،وأما المبرد فقد قال: قال قوم) (المبرّد، 1994) ، على حين يفهم آخرون أنّ (ما) في : (ما أحسنَ زيداً) اسم تام ليس موصولا و يعرب مبتدأ ، و(أحسن) خبره فيه ضمير الفاعل و(زيدا) مفعول به ، على تفسير : شيءٌ حسن زيدا . و يلزمها أنْ تكون مبهمة غير مخصوصة لأنّها لم ترد في سياق التّعجب والتّعجب يكون من أمر مجهول غير موصوف لذا يجب أنْ تجعل (ما) بلا صلة تصفها بعدها لأنّها لو وصلت لصار الاسم معلوما: ((وإذا قلت ما أحسن زيدا كان الأصل (حسن زيد) ،ثم نقلناه إلى (فعل) ، فقلنا : شيء أحسن زيدا ، وجعلنا (ما) موضع شيء ولزم لفظا واحدا ، ليدل على التّعجب ، كما يفعل ذلك في الأمثال)) (السرّاج، 1988.)

وقد طعن المبرد في رأي الأخفش فقال : ((وليس كما قالوا ، وذلك أنّ الأخبار إنما تحذف إذا كان في الكلام ما يدل عليها ، وإنّما هربوا منْ أنْ تكون (ما) وحدها اسما ، فتقديرهم : الذي حسنَ زيدا شيء ، والقول فيها ما بدأنا به مِن أنّها تجري بغير صلة ؛ لمضارعتها الاستفهام والجزاء في الإبهام)) (المبرّد، 1994) . فيما عد أبو البركات الأنباري رأي ابن السّراج والمبرد وسيبويه هو الأولى مستندا إلى الدليل العقليّ؛ لأنّ الكلام على قولهم مستقل بنفسه ، لا يفتقر إلى تقدير شيء ، وعلى القول الآخر يفتقر إلى تقدير شيء، وإذا كان الكلام مستقلا بنفسه عن تقدير ، كان أولى ممّا يفتقر إلى تقدير (الأنباري، 1999(

المحور الثالث: أشكال (ما) ووظائفها في مسرحيّة الحسين ثائرا :

وردت (ما) الاستفهامية في سياق مسرحية الحسين ثائرا لكن الكاتب أكسبها وظيفة خالفت المعنى الحقيقي للاستفهام فقد جاءت في سياق تداول فيه المتحدثون (شخصيات المسرحية) الكلام بين الأمر بالتوقف عن الكلام و الرّفض لهذا الصمت، ويمكن إجمال أنماطها:

1. ما نافية :

إنّ الحوار الدائر بين شخصيات المسرحية يوظّف عبد الرحمن الشرقاوي فيه أداة "ما" النافية توظيفًا دقيقًا وواعيًا، لتأكيد نفي شرعية الخضوع للظلم من منظور ديني وأخلاقي.

فـ"ما" هنا تدخل على الناسخ "كان"، وتنفي حدوثه في الزمن الماضي (الأنصاري، 1979). ، والمعنى: لم يوجد في دين الله، ولا في كتابه، ما يُجيز استسلام المظلوم للظالم.

في قوله:

ما كان في دينِ الإلهِ ولا الكتابِ أن يُسلِمَ المظلومُ وجهَه للظلامْ (الشّرقاوي، د.ت.).

وهذا الاستخدام يُحقق عدة وظائف بلاغية ودلالية نحويًا: "ما" نافية حجازية، تدخل على الفعل الناقص "كان"، فتعمل على نفي وجود الحكم (مشروعية الاستسلام) في الدين والكتاب. دلاليًا: يحمل النفي بعدًا احتجاجيًا صريحًا، فهو لا يكتفي بمجرد إلغاء الحكم، بل يُدين صراحةً كل مظهر من مظاهر الخنوع، ويُضفي على الثورة طابعًا شرعيًا، مؤكدًا أن مقاومة الظلم ليست خيارًا شخصيًا، بل واجب ديني وأخلاقي. بلاغيًا: يأتي النفي في صدر البيت الشعري، لتقوية وقعه وتوجيهه نحو تقرير الحقيقة ونقض الباطل، مما يُعزز البنية الجدلية للقصيدة، ويجعل "ما" النافية أداةً مركزية في ترسيخ موقف الحسين بوصفه رمزًا للثبات والرفض.

وبذلك، تُسهم "ما" النافية في بناء خطاب شعري يتجاوز الوصف إلى صياغة رؤية عقدية مقاومة، تجعل من شعر الشرقاوي صوتًا صريحًا في وجه الاستبداد، يستند إلى الدين ذاته لنفي مشروعية الصمت والانكسار.

2. ما الموصولة :

تبرز (ما) بوظيفة دلالية جديدة و الاسم الموصول هنا له وظيفة الرّبط بين الكلام الذي قبله و الذي بعده و استعماله في الجملة على هذه الصورة لغير العاقل يكسب المعنى بُعدا دلاليا عميقا يوحي بالإصرار على الموقف و الثّبات على المبدأ فـ (ما) الاسم الموصول هنا يستعمل لغير العاقل بالرغم من المعاناة فـ (ما) لفظ مبهم يوحي بمدى الإبهام و الغموض الذي يخالج العقول الواعية مِن رغبة النّاس في الصمت بالرغم المعاناة الطويلة، وهي ((ما اسم مبهم في غاية الإبهام، حتى إنها تقع على كل شيء ، وتقع على ما ليس بشيء، ألا ترى أنّك تقول: إنّ الله عالم بما كان وبما لم يكن ، وما لم يكن معدوم، والمعدوم ليس بشيء)) (السهيلي، 1992)

أمّا المدّ صوتي الذي نكسبه مِن الالف بعد الميم حرف المد في (ما) فهو أيضا يقوم بدور الساند للمعنى إذ يتناسب مع طول المدّة التي تمادى فيها الباغي فالإطالة بالصوت في حرف المد تناسبت تماما مع إطالة الظالم في ظلمه (التحرير و التنوير ،1997، 21)(جمعة ، 2024، 18) .

نحن قد خفنا بما فيه الكفاية (الشّرقاوي، د.ت.)

و إذا بحثنا عن (ما) فسنجدها بعد هذا الكلام واردة في النّص لكن ستحمل معها وظيفة جديدة أكسبتها إيّاها اللغة العربية فالشرقاوي و على لسان أحدى شخصيّات المسرحية يقول :

فإذا ما أقبل الليل و فاض الحمر صبى تحت ردف جارية (الشّرقاوي، د.ت.).

3 . ما زائدة :

أ . تطالعنا (ما) بمعنى مختلف فهي هنا و كما يراها النّحاة و علماء اللغة زائدة وظيفتها إكساب الكلام تقوية واسنادا لتثبيت المعنى و تحقيقه و إنّما شاع مصطلح (الزّيادة) عند النّحاة زمنهم من اطلق عليه (الإلغاء) (سيبويه، 1982 ؛ المبرّد، 1994) و السبب الذي دفع النّحويين لإقرار هذا المصطلح حدود وظيفة النّحوي في تحليل الكلام وهو وقوفه عند وظيفة الكلمة بالتركيب و علاقتها بما حولها دون النظر إلى المعنى الكلي فالحرف إذا كان دخوله كخروجه من غير إحداث معنى فهو زائد نحويا (النحوي ، د.ت.؛ المخزومي، 1958) ويسمّيها الكوفيُّون حروف الصلة أو الحشو (الفراء، 1983؛ الانصاري، 1970).

فهي الفاظ لها معنى و دلالة لا غنى عنهما فـ ((تدخل في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيماً ولكنّها توكيد بمنزلة ما)) (سيبويه، 1982) و لـ (ما) فضلا عن وظيفتها التوكيديّة لها جرس و جمالية صوتية أكسبت الكلام رونقا و جمالا فهي ((تفيد اللفظ فصاحة ، وحسنا، والمعنى توكيداً وتمييزاً لمدلوله من غيره)) (المصري، د.ت.)

ب . تتكرر (ما) الزائدة لكنّها من نوع آخر فهي عند أهل النّحو زائدة كافّة حملت فضلا عن أثرها المعنوي و الدّلالي اثرا نحويا إذ أبطلت عمل الحرف المشبه بالفعل الذي اتصلت به بقول الشرقاوي وعلى لسان أحد شخوص المسرحية:

إنّما الاثمُ على مَن ملك الظالم فينا فاستبد .

إنّما الفاسقُ مَن يحيا بآلاء ابن هند (الشرقاوي، د.ت.).

و بحكم انّ (ما) لها القدرة إملائيا على الاتصال بالكلمات التي تتمتع بأثر إعرابي فيما بعدها أصبح لزيادة (ما) مواضع كثيرة في اللغة العربية كما استنبطها النّحاة (سيبويه، 1982؛ الفراء، 1983؛ المبرّد، 1994؛ ابن جني، 1990؛ بن فارس، 1963) ، وزيادتها صنفت على نوعين زائدة كافّة تمنع الكلمة التي تتصل بها من العمل فيما بعدها من العوامل ، وزائدة غير كافّة (الانصاري، د.ت.)

ليبقى لها ذلك الأثر الصوتي الذي يكسبها إيّاه حرف المد الذي جعلها تخفف من حدّة و قوة إنّ التوكيدية لتشعر السامع فالزيادة هنا ظاهرة اسلوبيّة ساعدت فيها اللغة الكاتب في الإفصاح عن رأيه بل نقله للسامع بصورته الأوضح فـ (إنّ) تنقل الشعور بأنّ المتحدث يؤكد عمقا في داخله و موقفا غير طبيعي فهو صاحب معاناة و ظلم دام سنين و مع اتصال (ما) بها الذي توفره اللغة صارت هذه القناعة مبدأ غير قابل للنقاش فحرف المد الذي تحمله لفظة (ما) أعطانا إحساسا بعمق التّجربة و طول المعاناة التي توحي بأنّ قائلها قد صبر طويلا و جرّب و فكر بعمق لا مجال معه للنقاش أو التّراجع .

4 . ما النافية غير المحدود :

من بين أنواع "ما" التي وظّفها عبد الرحمن الشرقاوي في مسرحيته الشعرية، تبرز "ما" النافية بوصفها أداة فاعلة في بناء البنية الدرامية والموقف الحجاجي، لما تمتاز به من خصائص صوتية ومعنوية تجعلها أكثر الأدوات قدرة على

الانسجام مع السياق الفني للمسرحية. فهي أداة غير مختصّة، تدخل على الأسماء كما تدخل على الأفعال، وتُستخدم لنفي الحدث أو نفي الوجود، دون أن تقيد النفي بزمن معيّن، كما هو الحال مع أدوات مثل "لم" أو "لن".

إن هذه الخاصية الزمنية المفتوحة لـ"ما" تجعلها ملائمة للمسرح الشعري الذي يتّكئ على الماضي، لا ليحكيه، بل ليستحضره إلى الحاضر بوصفه طاقة ثورية تُجابه الظلم وتدعو إلى التغيير. فـ"ما" النافية تعمل هنا على إبطال الفعل أو الصفة أو الحدث، ولكنّها في الوقت ذاته تفتح بابًا دلاليًا نحو الرفض، والانفصال عن بنية القهر والتواطؤ.

ويتجلى هذا المعنى بوضوح في قول الحسين عليه السلام، في أحد مشاهد المسرحية:

ما خرجتُ أشِقُّ الدنيا على سلطان دنيا ما خرجتُ أطلبُ الدنيا لحسْبٍ أو نسبْ (الشرقاوي، د.ت.)

في هذين البيتين، تتكرر "ما" النافية مرتين في مطلع كل بيت، حيث تنفي نية الحسين في الخروج من أجل الدنيا أو السلطان أو طلب الجاه، بل تؤكد نقاء القصد وسمو الهدف. وهنا، تعمل "ما" على نفي الغاية الدنيوية، فتُبرّئ الفعل (الخروج) من أي دافع ذاتي أو مصلحة شخصية، ما يمنح النص بعدًا أخلاقيًا وروحيًا عميقًا.

ومن جهة نحوية، "ما" في البيتين نافية تدخل على الفعل الماضي ("خرجتُ") لتُلغيه، لكنها في الوقت ذاته تؤسس دلاليًا لمعنى الثورة بوصفها واجبًا لا رغبة، ورسالة لا مطمعًا. إنّها "ما" التي تنفي الاتهام الضمني وتُطهّر الفعل من شوائب السياسة والمصلحة، وتعيد بناء الخطاب على أساس الحقّ والواجب.

وبهذا التوظيف، ترتقي "ما" النافية في مسرحية ثأر الحسين من مجرد أداة لغوية إلى وسيلة خطابية تُمثّل براءة الموقف وثورية المقصد، وتُعزز البنية الجدلية التي ينهض بها النص، عبر صوت الحسين، ليدحض بها سرديات السلطة والطغيان.

5 . ما الاستفهاميّة :

لا خفاء هنا بأنّ (ما) تطل علينا بوجه آخر و معنى مختلف فوظيفتها الاسلوبية الاستفهام مّرة أحرى لكنّ الأمر معها مختلف عن سابقتها فالاستفهام جاء على حقيقته أي للفهم و طلب العلم بحقيقة ربّما خفيت عن السّامع مع ما في هذا الاستفهام من تعظيم و تهويل يستوحى من الاستفهام و توفره اللغة فتستخدمه الشخصية بهدف إقناع المحاور بالفكرة و بهذا الأسلوب سيكون للمتكلم فرصة أكبر من اللجوء للأسلوب المباشر التقريريّ (الأنصاري، 1979) ((أنّ المستفهِم عن الشي قد يكون عارفًا به مع استفهامه في الظاهر عنه لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء منها أنْ يرى المسؤول لأنّه خفي عليه ليسمع جوابه عنه، ومنها أنْ يتعرف حال المسؤول هل هو عارف بما السائل عارف به. ومنها أنْ يرى الحاضر غيرهما أنّه بصورة السائل المسترشد لمَا له في ذلك منَ الغرض ومنها أنّ يعد ذلك لمَا بعده ممّا يتوقعه، حتى إنْ حلف بعد أنّه قد سأله عنه حلف صادقًا فأوضح بذلك عذرًا ، و لغير ذلك من المعاني التي يسأل السائل عمّا يعرفه لأجلها وبسببها ، فلمّا كان السائل في جميع هذه الأحوال قد يسأل عمّا هو عارفه، أخذ بذلك طرفًا من الإيجاب لا السؤال عن مجهول الحال ، وإذا كان ذلك كذلك جاز لأجله أنْ يجرّد في بعض الأحوال ذلك الحرف لصريح ذلك المعنى ..) (ابن جني، 1990).

و يظهر ذلك جليّا في قول الشرّقاوي على لسان شخوص المسرحيّة :

ما الأمة عندك ؟ الامة ليستْ أصحاب الثّروات .

الامة نحن الفقراء (الشرقاوي، د.ت.).

الاستفهام جاء ليقوي أسلوب الحجاج و الاقناع فكان له وظيفة لا يمكن للأسلوب التّقريري مِن أنْ يؤديها فهو يحوي التّنبيه و لفتَ العقول للتمعُّن و التفكير بالكلام فتشارك عقول السّامعين المتحدث في مهمته التي يجهد في إيصالها ليبث أفكاره الإصلاحية في المجتمع فالاستفهام يحمل السّامع على الإقرار بالفكرة التي يريد لها المتحدث أنْ ترسخ في الأذهان أو تصل للقلوب .

وتأتي (ما) في موضع آخر مِن المسرحيّة لتتكاتف مع الألفاظ مِن حولها فتكون رُكنا من جملة توكيديّة

وذلك في قوله :

ما كنتُ لأرضى بالتحكيم

فتركت الفتنة و أتيتُ ... هربتُ بديني للهِ

و لذت بحرم رسول الله . (الشرقاوي، د.ت.)

فـ (ما) نافية في هذا المشهد مِن وجهة نظر النّحويين ووفقا لقواعدهم المحكمة ، لكنّها سياقِيًّا هي جزء أساس مِن جملة توكيديّة لها وظيفة تعبيريّة خطيرة فهي تعبر عن تمسك القائل بفكرته و مبدئه في رفض التحكيم رفضا شديدا لا رجعة فيه إنّها أعطت و دعمت معنى الثّبات على المبدأ و رفض الظلم والطّغيان وورد في سياقها لَام الجحود ((و لام الْجُحُود عِنْد الْبَصرِيين تسمي مُؤَكدَة لصِحَّة الْكَلَام بِدُونِهَا إِذْ يُقَال فِي مَا كَانَ زيد ليفعل .....)) . (السيوطي، د.ت)

على حين ترد (ما) لتحمل معنى آخر ووظيفة سياقيّة جديدة في الكلام استغلها الكاتب حين أراد أنْ يصرح بالحيرة و الدهشة أمام مطالب الخصوم حين ذكر على لسان أحد شخصيّات مسرحيته قائلا :

ما أحكم ما طلب يزيد إمّا البيعة أو رأسه. (الشرقاوي، د.ت.)

6 . ما التعجبيّة :

فـ (ما) إذا سبقت لفظا وزنه (أَفْعَل) كانت عند النحاة تعجبا و حتما سيكون للإيقاع و الصوت دور مساعد و فعّال و مؤثر في الأسلوب إذا الحقت (ما) بلفظة تماثلها في الشكل و الصوت (ما أحكم ما)

مع أنّ الوظيفة النّحوية تختلف إلّا أنّ ذلك لا يحجب التماثل الصوتي بين اللفظين فكلاهما ينبع من مخرج واحد و يوصف بصفات واحدة لا يمكن إغفالها (ما) الأولى تعجبية أمّا الثانية فهي مصدريّة كونت ما يعرف في علم النّحو بالمصدر المؤول (ما + فعل ماض) ((والمبوب له منها في النّحو اثنتان :

ما أفعله وإعرابها : إحداهما: ما أفعله، نحو "ما أحسن زيدا" فأمّا "ما" فأجمعوا على اسميتها؛ لأنّ في "أحسن" ضميرا يعود عليها، وأجمعوا على أنّها مبتدأ؛ لأنّها مجردة للإسناد إليها ، ثمّ قال سيبويه: هي نكرة تامة بمعنى شيء، وابتدئ بها؛ لتضمنها معنى التّعجب، وما بعدها خبر)) (الأنصاري، 1979).

و التّعجب عملٌ لغوي يلجأ له المتكلم لإظهار الأمر بمظهر غريب ((التَّعَجُّب مَا يجده الْإِنْسَان مِن نَفسه عِنْد خُرُوج الشَّيْء مِن عَادَته)) (الأنصاري، 1979) و في استعمال المصدر المؤول تحديد و عناية بإظهار الزّمان فالمصدر الصريح لا يوفر للسّياق هذه الإمكانية اللغويّة فالمصدر المؤول من شأنه ان يقوي الكلام و يكسبه سمات لا تتوفر في المصدر الصريح منها إضافة الزمن إلى الحدث (المطعني، 1992) .

ومن الجدير بالذكر تلك الكلمات التي عبر فيها الكاتب عن خطورة الكلمة و قوة تأثيرها الذي أثار عنايتنا بها تكرار (ما) و تعاقبها فضلا عن أنّها كانت على لسان الحسين عليه السّلام فنجح الكاتب في تلك الابيات من استلهام فكر سبط الرّسول عليه الصّلاة والسّلام ليستنهض عقولا ربّما غفلت عن الصواب و استهانت بما يميّز الإنسان و بما بعث به الأنبياء و المرسلون

7 . ما جزء أساسي في صيغة التوكيد بالقصر :

تعد أداة "ما" من الأدوات النحوية الأساسية في صيغة التوكيد المعروفة بالتوكيد بالقصر، التي تُستخدم لتخصيص أحد أطراف الكلام بالآخر عبر نفي الحكم عن كل ما عدا الطرف المخصوص، وإثباته له وحده. في هذه الصيغة، تؤدي "ما" وظيفة النفي الشامل، فتعمّم النفي على كل ما يُستثنى منه الطرف الآخر، ما يرسّخ المعنى ويقوّي دلالة التوكيد . (الانصاري، د.ت.)

في مسرحية "ثأر الحسين" لعبد الرحمن الشرقاوي، يظهر هذا الاستخدام بوضوح في أبيات مثل:

ما دينُ المرءِ سوى كلمة

ما شرفُ الرجلِ سوى كلمة

ما شرفُ اللهِ سوى كلمة . (الشرقاوي، د.ت.)

تدخل "ما" في هذه الأمثلة على مبتدأ الجملة لتنفي الصفة (دين، شرف، شرف الله) عن كل ما عدا "الكلمة"، التي تثبت لها الصفة وحدها. وبذلك تصبح "ما" جزءًا لا يتجزأ من صيغة التوكيد بالقصر، إذ تتجاوز مجرد النفي الظاهري إلى تأسيس نفي شامل يعزّز خصوصية الحكم ويؤكد حصره في الطرف المخصوص.

من الناحية النحوية، تعمل "ما" على تعميم النفي، فيما تتجلّى دلالتها في تقوية وإثبات الحُكم بشكل حاسم، فتُحصر القيمة الحقيقية في "الكلمة" وحدها، وتُرفض كل البدائل الأخرى، ما يعكس قوة الثبات واليقين في موقف النص.

الخاتمة :

يمثّل هذا البحث محاولة لسبر أغوار أداة لغوية شديدة التنوّع والتركيب في النظام النّحوي والدّلالي للغة العربية، هي الأداة (ما)، عبر تتبع حضورها الوظيفي والجمالي في نص مسرحيّ من النصوص العربية المعاصرة، وتحديدًا في مسرحية الشرقاوي موضوع الدراسة. وقد كشفت المعالجة التحليلية، النّحوية والدلاليّة والأسلوبية، عن جملة من المؤشرات المهمة التي تلقي الضوء على دينامية هذه الأداة في السّياق العربي الحديث، وتتمثل أبرز النتائج في الآتي:

أبرز نتائج البحث :

1 . تعدّد الوظائف التركيبية والدلالية لأداة (ما):

أظهرت الدراسة أن (ما) ليست أداة لغوية ذات وظيفة ثابتة، بل تُجسّد بنية مفتوحة تؤدي أدوارًا متنوّعة تشمل: الاستفهام، الشّرط، التّعجب، الموصولية، والزيادة. ويعكس هذا التعدّد سمة بارزة من سمات اللغة العربية القائمة على الاشتراك السياقي والتراكب الوظيفي، ما يبرز قدرتها على توليد المعنى بحسب مقتضيات السياق والخطاب.

2 . أهمية السياق في تحديد الدلالة والإعراب:

خلصت الدراسة إلى أنّ تأويل (ما) نحويًا ودلاليًا لا يمكن أنْ يكون مستقلاً عن السياق الذي ترد فيه. فموقعها من التركيب وعلاقاتها بالسّياق النّصي العام يوجهان عملية التأويل.

ممّا يستدعي منهجًا سياقيًا تكامليًا يجمع بين التحليل النحوي والقرينة الدلاليّة لتحقيق فهم دقيق لوظيفتها داخل النصوص.

3 . البعد الجمالي والتّعبيري في توظيف الشرقاوي لـ(ما):

تبين بعد التحليل أنّ الشرقاوي لم يستخدم (ما) استخدامًا آليًا أو عشوائيًا، بل جاء توظيفه لها مدروسًا يخدم البنية الأسلوبية والانفعالية للنص.

فقد استثمر طاقتها التكرارية وتعددها الوظيفي لتوليد كثافة دلالية وتواشج رمزي يواكب التوتر الدرامي للنص المسرحي، ممّا يعكس وعيًا أسلوبيًا مركّبًا عند المؤلف.

4 . البعد الفونيتيكي والإيقاعي لأداة (ما):

أكدت الدراسة أنّ التكرار اللافت لأداة (ما) لا يُعزى فقط إلى وظائفها النّحوية والدلاليّة، بل يرتبط أيضًا ببنيتها الصوتية المتميزة، التي تبدأ بصامت شفوي مجهور (م) وتنتهي بصائت طويل (ا). هذه البنية تُسهم في إنتاج إيقاع تعبيري داخلي يمنح الكلام طابعًا انفعاليًا وإيقاعيًا يتناغم مع السياقات الحماسية والانفعالية في النصوص الحوارية.

التوصيات

بناءً على ما تقدّم، توصي الدراسة بالآتي:

1 . إجراء دراسات مماثلة على أدوات لغوية أخرى تتسم بالتعدد الوظيفي، مثل: (إنْ، أنْ، قد، هل...)، لفهم خصائصها التحليلية والسياقية.

2 . توسيع دائرة التحليل لتشمل نماذج من الأدب الشعري والسردي، لاختبار فاعلية (ما) في بنيات لغوية متنوّعة.

3 . دمج المقاربات الصوتية والفونيتيكية في تحليل أدوات اللغة، لا سيّما تلك التي تحمل طاقة إيقاعية ضمن السياق التعبيري.

المصادر و المراجع :

ابن السرّاج، أبو بكر محمد بن سهل– ت 316هـ (1988م). الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني– (ت 392هـ) (1990م). الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، نشر دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

ابن عاشور التونسي ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت 1393هـ)

ابن عقيل ،بهاء الدين عبد الله بن عقيل (– ت 769هـ) (1999م). شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل.

ابن فارس، ، لأحمد (ت395هـ) (1963م). الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها تحقيق : مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، بيروت–لبنان.

الأنباري، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت 577 هـ) (1999م). أسرار العربيَّة تحقيق: بركات يوسف هبُّود، دار الأرقم، بيروت.

الاندلسي، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف أبو حيان – ت745هـ (1328هـ). البحر المحيط، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى.

الانصاري ، ابن هشام(د.ت.). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار العسكر بدمشق

الأنصاري، أبي محمد جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام (1970 م). الإعراب عن قواعد الإعراب (ت 761 هـ) تحقيق: د. رشيد العبيدي، دار الفكر، ط1.

الأنصاري، ابن هشام (1979 م). أوضح المسالك في شرح ألفية ابن مالك (ت761هـ)، دار الجيل، بيروت.

التحرير والتنوير . الطبعة التونسية ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – 1997 م

جمعة، علياء بشار، 2024، أثر القرينة الصّوتية في النحو العربي – شرح الرّضي على الكافية –أنموذجا، مجلة واسط للعلوم الانسانية،المجلد 20، العدد1. https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol20.Iss56.517

حوراء، (1975). مجلة الأقلام العراقية في لقاء مع الشرقاوي، العدد الثامن.

السهيلي، ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (. 581هـ) (1992 م).نتائج الفكر في النَّحو، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى

سيبويه ،أبو بشر عمرو بن عثمان (– ت180هـ) (1982م). الكتاب،تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة.

السيوطي، جلال الدين (د.ت.). همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

الشّرقاوي، عبد الرحمن (د . ت). مسرحية الحسين ثائرا ، طبعة دار الشّروق.

العكبري، أبي البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦هـ) (د.ت.).التبيان في إعراب القرآن تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية،عيسى البابي الحلبي وشركاه

عمر، يوسف حسن (1996م). شرح الرضي على الكافية ، ط2 ، منشورات جامعة فاريونس ، بنغازي .

الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد–(ت270هـ) (1983م). معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة.

المبرِّد، لمحمد بن يزيد (ت 285 هـ) (1994). المقتضب تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، طبعة المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، القاهرة.

المخزومي، مهدي (1958 م). مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مطبعة مصطفي بابي الحلبي بمصر، ط2.

المرادي، الحسن بن قاسم (ت 749هـ) (1992م).الجنى الداني في حروف المعاني تحقيق:فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

المصري، ابن أبي الأصبع (د . ت.). بديع القرآن تحقيق د. حفني ،شرف مكتبة النهضة، مصر، الطبعة الأولى.

المطعني، عبد العظيم إبراهيم (1992 م). خصائص التعبير القرآني و سماته البلاغية مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى .

النحوي ، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت 643 هـ) (د.ت). شرح المفصَّل تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

النحوي، أبو علي (د.ت.). البغداديات، تحقيق: صلاح الدين السنكاوي.دار النشر: مطبعة العاني: بغداد

النحوي، ابن هشام (المتوفى: 761هـ) (1987م). المباحث المرضية، تحقيق: الدكتور مازن المبارك ،دار ابن كثير – دمشق / بيروت ،الطبعة: الأولى.